Sirte University Journal of Humanities: Vol.16. Issue1. June 2026.

Sirte University Journal of Humanities **(SUJH)** مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية

Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/Humanities/index

https://doi.org/10.37375/sujh.v16i1.4088

النسق الثقافي وسلطة التمثيل: جدلية الهامش والمركز في رواية نصف شمس صفراء للروائية النيجيرية: تشيماماندا نغوزي أديتشي

د. فوزي عمر سالم الحداد

Fawzi.hadad@tu.edu.ly

كلية التربية، جامعة طبرق ، ليبيا

تاريخ الوصول:2026.04.12- تاريخ الموافقة:2026.05.22- تاريخ النشر:2026.06.01

الكلمات المفتاحية:

النسق الثقافي، النقد الثقافي، الرواية الإفريقية، ما بعد الكولونيالية.

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية الإفريقية المعاصرة، من خلال رواية **نصف شمس صفراء** لتشيماماندا نغوزي أديتشي، بوصفها نصاً سردياً يعيدُ مساءلة التاريخ، والهوية، والسلطة في سياق ما بعد الكولونيالية. وينطلق البحث من جدلية الهامش والمركز للكشف عن البنى القيمية الخفية التي تتحكم في تشكيل الخطاب الروائي. كما يركّز على تحليل تمثيلات الأنساق الثقافية عبر الشخصيات الرئيسة، خصوصاً شخصيتي ريتشارد وأوغوو، بوصفهما نموذجين متقابلين لخلل الذات الكولونيالية واستعادة الصوت المحلي. ويخلص البحث إلى أن الرواية تُنجز تفكيكاً واعيا للهيمنة الرمزية، وتؤكد أحقية الذات الإفريقية في تمثيل تاريخها ومعاناتها.

Cultural Pattern and the Authority of Representation: The Margin-Center Dialectic in Chimamanda Ngozi Adichie's Novel *Half of a Yellow Sun*

Dr. Fawzi Omar Salim Al-Haddad

Faculty of Education, University of Tobruk, Libya

Abstract

This research aims to examine the implicit cultural patterns in the contemporary African novel, specifically through Chimamanda Ngozi Adichie's "Half of a Yellow Sun." The study treats the novel as a narrative text that interrogates history, identity, and power within a postcolonial context. Drawing on the dialectic of the center and the margin, the research seeks to uncover the hidden value systems that govern the formation of novelistic discourse.

Furthermore, the study focuses on analyzing the representation of cultural patterns through the main characters, particularly Richard and Ugwu, viewing them as contrasting models of the fractured colonial self and the reclamation of the local voice. The research concludes that the novel achieves a conscious deconstruction of symbolic hegemony, asserting the right of the African subject to represent its own history and suffering.

Keywords

Cultural Pattern , Cultural Criticism, African Novel, Postcolonialism

تقديم:

صدرت رواية **نصف شمس صفراء** عام 2006، وصدرت ترجمتها العربية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في طبعة أولى عام 2009، بترجمة فاطمة ناعوت، عن سلسلة الجوائز رقم 59. وسبب اطلاعي على هذه الرواية يعود لعام 2013 عندما كلفتُ من الهيئة المصرية العامة للكتاب بإعداد قراءة تعريفية عن الرواية في ملتقى الأدب الأفريقي الذي انعقد في العام نفسه بمقر الهيئة بالقاهرة، فكان هذا سببا في تعرفي على تشيماماندا التي بت أتابع تجربتها الإبداعية من ذلك الحين.

و**تشيماماندا انجوزي أديتشي**: كاتبة نيجيرية، ولدت في 1977 لأبوين من قبيلة الإيبو النيجيرية، نالت درجتها العلمية في الاتصال والعلوم السياسية في جامعة ايسترن كونكيتكيوت عام 2001 وحصلت عام 2008على الماجستير في الدراسات الأفريقية من جامعة ييل الأمريكية، منحتها عدة جامعات الدكتوراه الشرفية منها جامعة إدنبرة وجامعة أمهيرست وجامعة فريبورغ في سويسرا. لها عدد من الأعمال الروائية منها الخبيزة الأرجوانية 2003، ونصف شمس صفراء 2006، ومسرحية بعنوان: من أجل حب بيافرا، وديوان شعر بعنوان: القرارات 1998. فازت بجائزة الكومنولث لأفضل كتاب أول عن روايتها الأولى عام 2005 ثم بجائزة الأورنج البريطانية عام 2007 عن روايتها نصف شمس صفراء.

حدود القراءة – امتداد الثقافي

تندرج رواية **نصف شمس صفراء** للروائية النيجيرية **تشيماماندا نغوزي أديتشي** ضمن السرديات الإفريقية التي صدرت ما بعد الكولونيالية، رواية تحاول إعادة صياغة الوعي الجمعي في أفريقيا بشكل خاص، ولذا فإن هذه الرواية الممتدة بطول ستمئة صفحة لا يصلح معها أي قراءة ما لم تكن معززة بالإطار الثقافي الذي يحتويها، إذ تسعى إلى مساءلة التاريخ والهوية والسلطة عبر استعادة حرب بيافرا الأهلية

Copyright © 2026 by Sirte University

النيجيرية، التي تعرف عالمياً بحرب بيافرا، وأزهقت أكثر من مليون روح بشرية. وهي نزاع أهلي مسلح استمر من (1967 حتى 1970) في محاولة من ولايات الجنوب الشرقي النيجيري الاستقلال عن الدولة الاتحادية في نيجيريا، وإعلان جمهورية بيافرا، التي اتخذت من رمز " نصف شمس صفراء" شعاراً لها وعلماً مستقلاً يكافحون من أجل رفعه فوق أرضهم، وهي مقاطعة جنوبية تقطنها أغلبية مسيحية وأقليّات وثنية، وجاءت المسيحية من حملات التنصير التي استهدفت المنطقة، منذ وقتٍ مبكرٍ باعتبار انتشار الوثنية في هذه المناطق، بعكس الشمال الذي ينتشر فيه الإسلام حيث تجنبت بريطانيا الاستعمارية إرسال حملات تنصيرية إليه، "ممالأة للمسلمين في الشمال ولكسب ودِّهم" (بحسب الرواية ص451).

وتدور أحداث النص في فترة الحرب الأهلية التي شنتها الحكومة الاتحادية التي يسيطر عليها المسلمون الهاوسا ضد **مقاطعة بيافرا الجنوبية** ذات الأغلبية المسيحية التي أعلنت الانفصال من جانب واحد. لم تصور الرواية خطوط النار الأمامية (إلا في موضعين وباختصارٍ شديدٍ) فلم تصف هدير الدبابات وزمجرة الأسلحة بمختلف أنواعها، وإنما ركزت على جانب واحد من المعركة وهو جانب بيافرا، وعلى الخطوط الخلفية لهذه المعركة، أي على الحياة الإنسانية التي تضطرب بفعل الحرب. وهذا ما يعزز التوجه للقراءة الثقافية لهذا النص.

وقد يكون لذلك أهدت **تشيماماندا** روايتها لجدّيها اللذين قضيا في الحرب، وإلى جدتيها وأبويها الذين حكوا لها أهوال الحرب، ثم أخيراً "للحب" الذي تطمح في أن يسود العالم. وفي هذا قالت آديتشي: "جدي لأمي، وجدي لأبي، كلاهما كان رجلاً رائعاً، كلاهما ولد في بدايات القرن العشرين في أرض قبيلة الإيبو التابعة للحكم البريطاني، كلاهما قرر أن يعلِّم أبناءه، كلاهما كان خفيف الظل، وكلاهما كان ذا كبرياء. علمت كل هذا عبر القصص التي حكيت لي، قبل مولدي بثماني سنوات، قتل جداي في بيافرا كلاجئين بعدما فرا من مسقط رأسيهما التي سقطت تحت سلطة الحشود الفيدرالية، وكبرت أنا في ظلال بيافرا، كبرت وأنا أسمع قصصاً عن: "قبل الحرب" و"بعد الحرب"، كأنما الحرب بشكل أو بآخر قد قسمت ذاكرة عائلتي نصفين. وهفوت دائماً للكتابة عن بيافرا– ليس وحسب لأمجد جَديَّ، بل أيضاً لأمجد الذاكرة الجمعية للأمة بأسرها– كتابة "نصف شمس صفراء" كانت بمثابة إعادة رسم شيء لم أره، على أنني حملت ميراثه، كما أنها، كما آمل، ضريبتي للحب: ذلك الشيء الساحر اللامنطقي الذي يربط بين الناس، والذي يجعلنا آدميين". (مقدمة الرواية ص7).

فالرواية وهي تقوم بسرد وقائع تاريخية، تُعيد تشكيلها من خلال أنساق ثقافية مضمرة تتحكم في بناء الشخصيات، وتمثيل السلطة وصياغة الوعي الجمعي، ومن هذا المنطلق، يغدو مفهوم النسق الثقافي أداة إجرائية كاشفة لفهم البنى العميقة التي تتحكم في الخطاب الروائي وتُعيد إنتاج القيم الاجتماعية والسياسية داخل النص، وهو ما سنحاول القيام به من خلال هذه الدراسة.

أول ما يبرز في هذا العمل، هو ذلك التداخل بين الراوية وحكي شخصياتها وخاصة عندما تعرض فقرات من الكتاب الذي تكتبه إحدى الشخصيات الرئيسة، ولذا أرى أنه من المناسب قراءة هذا النص دون تمييز كبير بين حكي الأقوال وحكي الأحداث، بحيث يتاح لنا التمييز بين الخطابات المستعملة في النص الروائي من خلال الخطاب ككل، أي من خلال الدمج بين حكي الأقوال وحكي الأحداث. وعلى هذا فإن التمييز بين خطاب الراوي وخطاب الشخصيات لن يكون هدفنا عبر هذه القراءة، لأن هذا النص يمتاز بما يمكن أن يسمى " تبادل الأدوار الحكائية " والمعني بها تعرض علامات السرد والعرض بين الراوي والشخصيات للعديد من التبدلات. فالراوي هنا يرى بعين الشخصية، لكنه يرى أكثر مما تراه الشخصية، الرؤية من الخلف بحسب تصنيف بويون الثلاثي للرؤيات، أو الراوي أكبر من الشخصية كما يرى تودوروف، (الخفاجي، 2012، ص198) خاصة وهو يقود الحكي من خلال ضمير الغائب، فنحن نشعر بحضور الراوي الدائم حتى وهو مستخفٍ وراء شخوصه، أو الكاتب الضمني تمييزاً له عن الراوي كما يقول بوث (يقطين، 2005، ص291).

فهذه الرواية التي بين أيدينا تحتاج قراءة ثقافية بامتياز، قراءة تبحث عما وراء السرد، وراء الحكاية. فرغم أن ثيمة الرواية الأساسية هي الحرب إلا أن البناء المضموني يشي بكثير من الدلالات التي يجب أن تقرأ أيضاً ضمن البحث في إطار الأنساق المضمرة. فالدراسة الثقافية تقوم أساساً على التعددية المنهجية والرؤيوية في فهم الثقافة وتحليلها. كما أنها ترصد حراك الإنسان وفاعليته في إبداعه وإنجازاته، بتخطيطات ذكية ودوافع عقلية ومواقف فكرية ونوازع شعورية متنوعة ومعقدة، تصدر عنها وتقاس بها جميع اهتمامات الإنسان وعلاقاته وإنجازاته. وهذا يعني قراءة النص في ضوء الثقافة التي أنتجته، قراءة ترصد التفاعل بين مرجعية النص الثقافية والوعي الفردي للمبدع، فتنطلق من الخلفية الثقافية للنص مروراً

بتأويل مقاصد المبدع ووعيه، وانتهاء بدور القارئ الناقد، حيث ينفتح المجال أمامه لتأويل العلاقة بين دور المفهوم دلالياً وجمالياً داخل النص ودوره الاجتماعي في الثقافة.

تضم الرواية بين دفتي غلافها المترجم ستمِئة صفحة، موزعة في أربعة أبواب وسبعة وثلاثين جزءاً. وتحركت أحداث الرواية عبر خمس شخصيات رئيسة، هي:

1. **أوغوو**: وهو الخادم المنحدر من أسرة فقيرة (الهامش) وقد لازم سيده أودينيبو حتى النهاية.
2. **ريتشارد**: البريطاني المغرم بالحياة في بيافرا وعشيق كاينين توأم أولانا.
3. **أولانا**: ابنة تاجر ثري وزوجة أودينيبو فيما بعد.
4. **أودينيبو**: يظهر في الرواية في الغالب باسم السيد، أستاذ جامعي ثري.
5. **كاينين**: توأم أولانا وتعمل في التجارة مع والدها واسع الثراء، أحبها ريتشارد وأحبته وعاشا سوياً في بيتها. بالإضافة إلى عشرات الشخوص الثانوية التي جاء معظمها مسمىً وموصوفاً.

ويتضح أن الشخصيات الرئيسية في الرواية هم من أبناء الطبقة الوسطى المثقفة، يعيشون حالة من الثراء، حتى شخصية "أوغوو" وهو الخادم المنحدر من أسرة فقيرة، فإنه يعيش في منزل "أودينيبو" الأستاذ الجامعي.

إشكالية البحث

تنطلق رواية **نصف شمس صفراء** من سياق تاريخي مأزوم يتمثل في الحرب الأهلية النيجيرية، لكنها لا تكتفي بسرد الوقائع أو تمثيل المأساة، إنما تعمل على تفكيك الأنساق الثقافية المهيمنة التي حكمت تمثيل هذه الأحداث، سواء داخل البنية الاجتماعية المحلية أو في الخطاب الغربي الذي طالما احتكر سرد التاريخ الأفريقي. وفي هذا السياق، تبرز شخصيتا أوغوو وريتشارد بوصفهما تمثيلين متقابلين لنسقين ثقافيين مختلفين: نسق الهامش المحلي المهمَّش، ونسق المركز الغربي المتمتع بامتياز التمثيل والسرد. وتتأسس الإشكالية الرئيسة للبحث على التساؤل حول كيفية اشتغال النسق الثقافي في الرواية لإعادة توزيع سلطة التمثيل والسرد بين هاتين الشخصيتين، بحيث ينتقل أوغوو تدريجياً من موقع الخادم الصامت إلى موقع الكاتب الشاهد، في حين يُجرَّد ريتشارد– بوصفه الذات الغربية– من سلطة الكتابة والتمثيل، رغم امتلاكه أدوات المعرفة واللغة. ومن ثم، لا تتعلق الإشكالية بوصف التحول السردي فحسب، بل بتحليل الآليات الثقافية والرمزية التي تُعيد تعريف المركز والهامش داخل النص الروائي.

وعليه، تتمحور إشكالية البحث حول السؤال المركزي الآتي:

كيف تُعيد رواية نصف شمس صفراء إنتاج النسق الثقافي وسلطة التمثيل عبر جدلية الهامش والمركز من خلال شخصيتي أوغوو وريتشارد؟

أسئلة البحث

السؤال الرئيس: كيف تتجلى جدلية الهامش والمركز في رواية نصف شمس صفراء عبر الأنساق الثقافية التي تحكم تمثيل شخصيتي أوغوو وريتشارد، وما أثر ذلك في إعادة توزيع سلطة السرد والكتابة داخل النص؟

ويمكن بالطبع صياغة المزيد من الأسئلة الفرعية تماهياً مع سياق البحث، مثل:

1. ما ملامح النسق الثقافي الذي يؤطر شخصية أوغوو منذ ظهوره خادماً حتى تحوله إلى ذات كاتبة؟
2. كيف تُبنى شخصية ريتشارد سردياً بوصفها تمثيلًا لنسق الامتياز الغربي وسلطة التمثيل التاريخي؟
3. ما الآليات السردية والثقافية التي تعتمدها الرواية لتعرية ريتشارد وسلبه سلطة الكتابة؟
4. كيف تُسهم الحرب الأهلية في إعادة تشكيل الوعي الثقافي لكل من أوغوو وريتشارد؟
5. إلى أي مدى ينجح النص الروائي في نقل سلطة التمثيل من المركز الغربي إلى الهامش المحلي؟
6. كيف يتقاطع النسق الثقافي مع مفاهيم ما بعد الاستعمار مثل: الصوت، والتمثيل، والحق في السرد؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى: الكشف عن الأنساق الثقافية المضمَرة التي تحكم بناء شخصيتي أوغوو وريتشارد، وتحليل آليات تفكيك سلطة التمثيل الغربية داخل الرواية، مع إبراز تحوّل الهامش إلى مركز سردي ومعرفي عبر شخصية أوغوو، ومن ضمن هدف البحث الإسهام في دراسات الرواية الأفريقية المعاصرة من منظور النقد الثقافي وما بعد الاستعمار.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الثقافي في تحليل الأنساق المضمَرة داخل النص الروائي، بالإضافة إلى مقاربة ما بعد الاستعمارية–الكولونيالية في تفكيك سلطة التمثيل والخطاب الغربي. مع الاستفادة من مفاهيم نقدية مثل: النسق الثقافي، سلطة السرد، الهامش والمركز، الصوت والتمثيل.

المبحث الأول: النسق الثقافي في سياق الرواية الأفريقية ما بعد الكولونيالية

ارتبط تطور الرواية الإفريقية المعاصرة بسياق ما بعد الكولونيالية، حيث سعت هذه الرواية إلى تفكيك الخطاب الاستعماري، وإعادة الاعتبار للصوت المحلي في مواجهة السرديات الغربية. وقد أشار إدوارد سعيد إلى أن استعادة السرد تُعد شرطاً أساسياً للتحرر الثقافي، كما نبه إلى أن السرديات الأدبية تلعب دورا محوريا في تشكيل الوعي التاريخي والثقافي، إما عبر تكريس الهيمنة أو تفكيكها. (سعيد، 1993، ص212-219)

يتخذ النسق الثقافي في الرواية ما بعد الكولونيالية طابعاً خاصاً، إذ يتصل بقضايا الهوية، والاستعمار، والمركز والهامش، وتمثيل الذات الإفريقية في مواجهة الخطاب الغربي.

وفي هذا الإطار، تشتغل الرواية الإفريقية بوصفها خطاباً مضاداً، يعيد تمثيل التاريخ والهوية من منظور ذاتي، ويكشف استمرار الهيمنة الرمزية حتى بعد زوال الاستعمار السياسي.

يتضح أن رواية نصف شمس صفراء تشكّل نصاً ثقافياً بامتياز، تتفاعل داخله أنساق ثقافية متعددة، بعضها مهيمن وبعضها مقاوم. ويتيح توظيف مفهوم النسق الثقافي في تحليل الرواية تجاوز القراءة التاريخية أو الجمالية، نحو قراءة ثقافية تكشف البنى العميقة التي تتحكم في تشكيل المعنى وتمثيل الهوية والسلطة. ومن ثمّ، فإن النقد الثقافي يقدّم أفقاً منهجياً فاعلًا لفهم اشتغال السرد الإفريقي المعاصر في سياق ما بعد الكولونيالية.

وفي نصف شمس صفراء، تشتغل الأنساق الثقافية ضمن فضاء ما بعد الاستعمار، حيث تتقاطع أنساق: الهوية العرقية (الإيغبو في مقابل السلطة المركزية)، والنسق الاستعماري الموروث، والنسق القومي، والنسق الطبقي والمعرفي.

الأنساق الثقافية البارزة في رواية نصف شمس صفراء

وتبرز تمثيلات النسق الثقافي في هذه الرواية من خلال ما يلي:

1. **النسق التاريخي:** تعيد الرواية كتابة تاريخ حرب بيافرا من منظور الضحايا، لا من منظور السلطة، كاشفة عن الطابع الانتقائي للتاريخ الرسمي، فيغدو السرد أداة لمقاومة النسيان، وفضح صمت العالم عن مآسي الحرب وتداعياتها والمسؤولية عن المجاعة والموت الجماعي.

2. **النسق القومي والهوية الجمعية:** يحضر النسق القومي بوصفه أحد الأنساق المركزية في الرواية، ويتجلى في تمثيل مشروع بيافرا بوصفه حلما جماعيا بالتحرر والاعتراف، غير أن هذا النسق لا يُقدَّم بوصفه خطاباً بطولياً خالصاً، لكن يجري إخضاعه للمساءلة عبر كشف هشاشته وتناقضاته الداخلية، فالرواية تُظهر كما سيتضح، كيف يتحول النسق القومي من أداة مقاومة إلى خطاب قد يُعيد إنتاج العنف، وهو ما يعكس وعيا نقديا بالنسق ذاته لا انخراطا أيديولوجيا فيه. وهكذا، تُمارس الرواية مساءلة نقدية للنسق القومي بدل تمجيده.

3. **النسق الاستعماري المضمَر:** رغم غياب المستعمِر الأوروبي المباشر عن زمن الرواية، فإن النسق الاستعماري يظل فاعلًا من خلال اللغة، والتعليم، وأنماط التفكير. فالشخصيات المتعلمة، مثل أولانا وأودينبو، تتحرك داخل منظومة معرفية موروثة عن الاستعمار، ما يجعل وعيها مشدودا بين ثقافتين، ويُعد هذا الحضور الخفي للنسق الاستعماري مثالًا واضحًا على ما يسميه النقد الثقافي «استمرار الهيمنة الرمزية» (اشيكروفت، غريفيث، 2008، ص205) بعد زوال الاستعمار السياسي.

4. **النسق الذكوري وتمثيل المرأة:** تكشف الرواية عن نسق ذكوري متجذر في البنية الاجتماعية، يظهر في العلاقات الأسرية والتمثيلات الجندرية، غير أن أديتشي تعمل على تفكيك هذا النسق من الداخل عبر بناء شخصيات نسوية فاعلة، خصوصاً عبر شخصيتي: **أولانا وكاينين** إذ تقاومان اختزالهما في أدوار تقليدية، وبهذا المعنى تتخذ الرواية موقفا نقديا من النسق الذكوري، دون الوقوع في خطاب مباشر أو شعاري، بل عبر آليات سردية دقيقة.

4. **النسق الطبقي والمعرفي:** يتجلى النسق الطبقي في التفاوت بين الشخصيات المتعلمة والنخبة الأكاديمية من جهة، والشخصيات الهامشية مثل أُوغوو من جهة أخرى. غير أن الرواية تُعيد توزيع القيمة الرمزية، إذ تمنح صوتا سرديا معتبرا للشخصية المهمشة، مما يشكل فعل مقاومة نسقية للتراتبية الثقافية والمعرفية السائدة.

آليات اشتغال النسق الثقافي في الرواية

تشتغل الأنساق الثقافية في نصف شمس صفراء عبر جملة من الآليات، من أبرزها:

– التضمير السردي: حيث تُمرَّر القيم النسقية عبر الأحداث اليومية لا عبر الخطاب المباشر.

– تعدد وجهات النظر: مما يسمح بكشف تناقض الأنساق بدل تكريسها.

– تفكيك البطولة: إذ تُقوَّض السرديات الكبرى لصالح سرديات إنسانية جزئية.

– المفارقة التاريخية: التي تكشف المسافة بين الحلم القومي وواقع الحرب.

المبحث الثاني: النسق الكولونيالي المأزوم وتمثيلات خلل الهوية

مأزق الهوية وخلل الذات

" **ريتشارد** " من ضمن الشخصيات الرئيسة في الرواية وقد ظهر بشخصية معقدة ومركبة، وهو الأبيض القادم من بلاد المستعمر البريطاني لنيجيريا، لكنه أحب فتاة من **الإيبو** في الجنوب، وأحب الثقافة الإيبوية وشرع طوال الرواية وهو يكتب كتاباً عن بيافرا والحرب، بعنوان : **العالم كان صامتاً عندما كنا نموت** (الرواية، ص520)، وفيه يعرض دور البريطانيين في إذكاء الفتن بين النيجيريين في الشمال والجنوب، مركزاً على آثار الحرب على الناس العاديين في بيافرا، وكيف قتل الجوع والمرض أكثر من رصاص الحرب.

تُعدّ شخصية "ريتشارد" من أكثر الشخصيات تركيبا وإشكالية في رواية نصف شمس صفراء، إذ تمثّل موضعاً سردياً بالغ الحساسية، يجتمع فيه الانتماء الكولونيالي والرغبة في الانفصال عنه. فريتشارد هو الأبيض القادم من بلد المستعمر البريطاني، لكنه في الوقت ذاته منخرط وجدانياً وثقافيا في مجتمع الإيبو، ومتعاطف بعمق مع معاناته التاريخية والإنسانية. ومن خلال هذه الشخصية، تُمرّر الرواية نسقاً ثقافياً مركّباً يقوم على مأزق الهوية، وخلل الذات ما بعد الكولونيالية، ومساءلة الدور الأخلاقي للمثقف الغربي في سياق الشعوب المستعمَرة سابقا.

لا يُقدَّم ريتشارد بوصفه ممثلاً نمطياً للمستعمِر، بل بوصفه ذاتاً قلقة، تعيش تناقضاً داخليا بين الانتماء العرقي والانحياز الأخلاقي. فهو يدرك أن لونه الأبيض وجنسيته البريطانية يمنحانه امتيازاً رمزياً لا يستطيع الانفصال عنه، حتى وهو يرفض الإرث الاستعماري أخلاقياً. ويُعد هذا التوتر تعبيراً واضحاً عن خلل الذات الكولونيالية التي تعيش ما يسمى بـ«اللاانتماء المزدوج».(أشيكروفت، 2008)

فريتشارد لا ينتمي كلياً إلى المجتمع الإيبو، رغم حبه له، ولا يعود قادراً على الانتماء الوجداني إلى وطنه البريطاني، بسبب وعيه النقدي بدور بلاده في تفكيك النسيج الاجتماعي النيجيري. وهكذا، تتشكّل هويته في منطقة وسطى مأزومة، تُنتج القلق بدل الطمأنينة.

من خلال مشروع ريتشارد في كتابه المعنون بـ (العالم كان صامتاً عندما كنا نموت) تُمارس الرواية عملية قلب للنسق الكولونيالي التقليدي. فبدل أن يكون الأوروبي هو من يكتب تاريخ الآخر من موقع التفوق، يتحول إلى شاهد مُدان، يسعى إلى فضح دور بلاده في إذكاء الفتن بين شمال نيجيريا وجنوبها، وإلى كشف الآثار الكارثية للحرب على المدنيين.

غير أن هذا القلب النسقي لا يخلو من إشكالية، إذ تطرح الرواية سؤالا ثقافياً عميقاً:

هل يستطيع المثقف الغربي أن يتحدث باسم الضحايا دون أن يُعيد إنتاج سلطة التمثيل؟

وهنا تلتقي الرواية مع نقد (غاياتري سبيفاك، 1988) حول «تمثيل التابع»***، حيث تحذّر من أن خطاب التعاطف قد يتحول، دون قصد، إلى شكل جديد من الهيمنة الرمزية. فريتشارد، رغم وعيه، يبقى حاملا لامتيازات الكتابة والنشر والاعتراف العالمي.

من زاوية أخرى، تمثّل علاقة ريتشارد بالمرأة الإيبوية (كاينين) فضاءً سردياً لاختبار الاندماج الثقافي وحدوده. فرغم أن أنه يُحبها إلا أنه فشل في مشروع الزواج منها، ما يوحي بعدم تقبل اندماج الأبيض الذي يمثل قوة المستعمر مع الأسود الذي يمثل قوة المقاومة، أو كما جاء في الرواية على لسان "مادو" :" **الزائر لا يأخذ مكانة أصحاب البيت**". (الرواية، ص424)

فالحب هنا، لا يُقدَّم بوصفه خلاصاً كاملًا من الإرث الكولونيالي، بل كحالة إنسانية تصطدم باستمرار بالفوارق الثقافية والتاريخية. ويكشف هذا البعد العاطفي عن أن الاندماج الوجداني لا يعني بالضرورة زوال الفجوة الرمزية التي خلّفها الاستعمار. وعلى هذا، يتحول الحب إلى مرآة تكشف استحالة البراءة الكاملة في علاقة تجمع بين ذات مستعمِرة سابقة وذات مستعمَرة، حتى حين تكون العلاقة قائمة على التعاطف الصادق. ورغم مأزقه، تُسهم شخصية ريتشارد في تمرير نسق إنساني مضاد للنسق الإمبريالي، يتمثل في تركيزه على معاناة الناس العاديين، وعلى الجوع والمرض بوصفهما أدوات قتل أكثر فتكا من السلاح. ويُعد هذا التحول من الخطاب السياسي إلى الخطاب الإنساني محاولة لتفكيك السرديات الكبرى التي غالباً ما تُجرّد الضحايا من فرديتهم. غير أن الرواية لا تُقدّم هذا النسق بوصفه انتصاراً كاملاً، بل

بوصفه محاولة أخلاقية ناقصة، تظل مشروطة بحدود الذات الغربية وقلقها الدائم.

لكن اللافت أن الرواية تسحب من ريتشارد، في مراحل لاحقة، مركزية الصوت السردي، ويُعاد توزيع هذا الصوت على شخصيات محلية، وبالتحديد الخادم المهمش **أوغوو**، إذ تظهر الرواية أن **ريتشارد** مزق المسودة لأنه لا يشعر بنفسه كاتباً كاملاً، بينما يظهر أن الخادم "**أوغوو**" هو من كتب الكتاب، فقد تعلم الكتابة، وشرع يكتب ملاحظاته التي ستكون هي الكتاب في نهاية الرواية، ويُعد هذا التحول السردي تجسيداً فنياً لتفكيك سلطة التمثيل الكولونيالي، حيث يُفسَح المجال للذات المحلية لتكتب تاريخها بنفسها. ويعكس هذا الإجراء السردي وعيا نقديا من **أديتشي** بمحدودية صوت المثقف الغربي، مهما كان متعاطفاً، ويؤكد أن تجاوز النسق الكولونيالي لا يتم عبر الاعتراف فقط، بل عبر إعادة توزيع السلطة السردية.

وبناء على ما سبق، تمثّل شخصية ريتشارد في نصف شمس صفراء تجسيداً دقيقاً للنسق الكولونيالي المأزوم، حيث تتقاطع أزمة الهوية مع خلل الذات ما بعد الكولونيالية، ويغدو الوعي الأخلاقي مصدراً للقلق لا للخلاص. ومن خلال هذه الشخصية، تُعيد الرواية مساءلة علاقة الغرب بتاريخ الشعوب المستعمَرة، وتكشف أن التحرر من الاستعمار لا يتحقق بمجرد النية أو التعاطف، بل عبر تفكيك عميق لبُنى التمثيل والسلطة والمعرفة.

المبحث الثالث: التحوّل الثقافي والنسق الاجتماعي من خلال شخصية أوغوو

تُظهر الرواية كيف ينعكس السياق الثقافي المتعدد الطبقات في نيجيريا الحديثة على الأفراد والجماعات، من خلال شخصيات متنوعة مثل أولانا وأودينيبو وريتشارد، لكن الشخصية التي ترمز بوضوح إلى التداخل بين الثقافة التقليدية والتحوّلات الاجتماعية والسياسية هي شخصية **أوغوو** الصبي القروي الذي يصبح تباعاً محور السرد.

أوغوو يبدأ الرواية كـ فتى قروي بسيط يبلغ نحو 13 عاما، يعمل خادماً في منزل أودينيبو، أستاذ الجامعة المفعم بالأفكار الثورية. هذا التغير في البيئة يشكل نقطة انطلاق لرحلته التي تمثل تحوّلا ثقافيا وشخصيا، من مجتمع ريفي معزول إلى عالم السياسة والحرب والتحول الثوري.

في البداية، يُظهر أوغوو حماسا شديدا للتعلم ويتفاعل بسرعة مع البيئة الجديدة، مما يعكس الرغبة في الترقّي الاجتماعي والانصهار الثقافي بعيدا عن أطر القرية التقليدية. هذا يمثل جانبا من النسق الثقافي الأفريقي المعاصر الذي يدفع الأفراد إلى مواجهة عوالم جديدة تتداخل فيها الأنساق التقليدية مع أفكار حديثة. فالحرب تمثل عامل ضغطٍ عميق في الرواية، وأوغوو يتعرض لتجارب قاسية مثل تجنيده القسري، رغم أنه ما يزال طفلاً في نظر القانون، وهو حدث حقيقي تعكسه الرواية في سياق النزاعات المسلحة الأفريقية، ورغم هذا القمع يظل جزءاً من تجربته في التعلم والتطور، حيث تنمو شخصية أوغوو عبر مراحل ثقافية وأخلاقية مركّبة، ما يجعله ليس مجرد مراقب للأحداث بل مشاركاً فاعلًا في تشكيل ذاكرة الحرب والفكرة الوطنية.

الهوية الثقافية ومعادلة التقليد والحداثة:

أوغوو يمثل تلاقحا بين التقليدي والحداثي، فقد نشأ في مجتمع ريفي تقليدي متماسك ثقافيا يحمل معه قيما اجتماعية وأخلاقية محددة في بداية الرواية. لكنه يصطدم بالحداثة عندما تبدأ هويته في التشكل عبر الاحتكاك بالأفكار السياسية المتحررة والتحولات الاجتماعية التي تفرضها الحرب والجامعة والحياة المدنية، ما يجعله رمزاً لتجربة الانتقال الثقافي في إفريقيا المعاصرة. هذا التداخل بين الثقافات التقليدية– الحداثية، والمحلية– العالمية وبين العادات والتغير الاجتماعي، يجعل أوغوو مرآة لنسق ثقافي أوسع في الرواية، يعكس أزمة الهوية الأفريقية الحديثة بين الحفاظ على الجذور والانخراط في التحولات السياسية والاجتماعية. شخصية أوغوو في نصف شمس صفراء حالة ثقافية تمثّل التحولات الكبرى في المجتمع النيجيري والعالمي في فترة ما بعد الاستقلال، فمن خلال رحلته الشخصية من القرية إلى الحرب، ومن البراءة إلى المعرفة، تعكس الرواية التوترات بين الماضي والحاضر بين الأعراف التقليدية والانفتاح على عوالم جديدة، ما يجعل من أوغوو رمزاً للنسق الثقافي المتغير في الرواية الأفريقية المعاصرة.

تحولات النسق الثقافي وسلطة السرد في شخصية أوغوو– من الخادم إلى الكاتب:

تنهض رواية نصف شمس صفراء على تفكيك الأنساق الثقافية المهيمنة في السرد الأفريقي المعاصر، لا سيما نسق التراتب الاجتماعي، ونسق الامتياز الاستعماري، ونسق احتكار الخطاب. وتمثل شخصية أوغوو إحدى أهم الآليات السردية التي تعتمدها الرواية لإعادة توزيع السلطة الرمزية، إذ ينتقل من موقع الخادم الهامشي الصامت إلى الذات الكاتبة المنتجة للمعنى، في مقابل تراجع شخصية ريتشارد بوصفها تمثيلاً للعين الغربية التي اعتادت احتكار سرد التاريخ الأفريقي.

يُقدَّم أوغوو في بداية الرواية بوصفه فتى قرويا أمّيا، يُستقدم إلى بيت أودينيبو بوصفه (خادماً) لا ذاتاً مستقلة. هو القادم من القرية، المسكون بالخرافات، الذي ينظر إلى "أولانا" وزوجها "أودينيبو" كآلهة. وهنا تبرز الفجوة بين "أفريقيا التقليدية" و"أفريقيا المتغربة"، أوغوو هو الهامش الذي يراقب المركز (المثقفين) ويحاول استيعاب لغتهم وعالمهم، في هذا السياق تعمل الرواية على تثبيت نسق اجتماعي أفريقي داخلي لا يقل صرامة عن النسق الاستعماري، قوامه: التراتبية العمرية والتراتبية الطبقية والتراتبية المعرفية. ومن خلال شغفه بالمطبخ والطهي يرمز لعملية "الاستيعاب والتحضير" فهو يمتص المعرفة كما يمتص الطعام النكهات.

فالخدمة المنزلية لا تُقدَّم كوظيفة محايدة، بل كـ موقع ثقافي أدنى، يُفرض على أوغوو خطاب الطاعة، ويُختزل وجوده في الأداء الجسدي (الطبخ، التنظيف، تنفيذ الأوامر). غير أن الرواية، منذ هذه المرحلة، تزرع بذور التفكيك، إذ تُظهر فضول أوغوو المعرفي، وإنصاته للنقاشات السياسية والفكرية في بيت أودينيبو، بوصفه شكلًا من التسلل المعرفي من الهامش إلى المركز.

هنا يبدأ النسق في التصدّع: الخادم لا يكتفي بالخدمة، بل يتعلم.

فالتعلم بوصفه فعل مقاومة ثقافية لا يأتي في الرواية بوصفه مساراً مدرسياً نظاميا، إنها عملية تعلم غير رسمي، تتم عبر الاستماع والتقليد والمراقبة. يتحوّل بيت أودينيبو إلى فضاء ثقافي بديل، يسمح لأوغوو بالاحتكاك باللغة الإنجليزية والخطاب القومي وأفكار الاستقلال، ما يجعل تعلمه فعلًا مقاوما لنسق التهميش. غير أن هذا التعلم لا يرفعه اجتماعيا بشكل فوري، بل يظل معلقا بين موقعين: خادم في البنية الاجتماعية، ومتعلم في البنية المعرفية وهذا التوتر يُعدّ أساسياً لفهم التحول اللاحق في الشخصية.

الحرب وتفكيك البراءة – أوغوو الجندي والقسوة المكتسبة

تمثل الحرب الأهلية النيجيرية نقطة الانكسار الكبرى في مسار أوغوو. إذ يعد اختطاف أوغوو وتجنيده قسرياً نقطة التحول الكبرى. في جبهات القتال، يتخلى أوغوو عن براءته ويغرق في وحشية الحرب فقد انتقل من الهامش المدني إلى هامش آخر أكثر عنفاً: هامش الجندية القسرية.

وتكشف الرواية، بجرأة أخلاقية تورط أوغوو في فعل الاغتصاب الجماعي، وهو مشهد لا يمكن قراءته بوصفه انحرافاً فرديا، بل بوصفه نتيجة مباشرة لعسكرة الجسد، أو لنقل نتاج نسق ذكوري حربي، يعد انعكاساً لانهيار المنظومة الأخلاقية تحت ضغط الحرب. إنها "لحظة السقوط" التي تعبر عن أثر الحرب في تشويه الهوية. حيث يتحول أوغوو من ضحية للاستعمار إلى ضحية لصراعات ما بعد الكولونيالية الداخلية.

وهنا ترفض أديتشي تبييض شخصية أوغوو، وتقدّمه بوصفه نتاجا مشوّهاً لنسق ثقافي مأزوم. فالقسوة التي يمارسها ليست طبيعة أصيلة فيه، وبالتالي هي سلوك مكتسب داخل منظومة عنف شاملة. وبهذا تُعمّق الرواية رؤيتها النقدية للنسق الثقافي إذ تكشف كيف تُعيد الحرب إنتاج الهامش في صورة أكثر وحشية.

من الجندي إلى الشاهد – تشكّل الوعي السردي

بعد الحرب، لا يعود أوغوو إلى موقع الخادم كما كان، بل يدخل مرحلة الوعي بالذات والتاريخ. تظهر هذه المرحلة عبر: ميله إلى التدوين ورغبته في تسجيل ما جرى، ووعيه بأن الحرب وإن كانت حدثا عسكريا، لكنها في الواقع مأساة إنسانية تحتاج إلى سرد، وهنا يتحقق التحول الأخطر في الرواية: تحول أوغوو من موضوع للحكاية إلى منتج للحكاية. وهذه هي النقلة الأكثر أهمية في الرواية إذ نكتشف أن الكتاب الذي كان "ريتشارد" (الرجل الأبيض) يحاول تأليفه تحت عنوان "العالم كان صامتاً عندما كنا نموت"، هو في الحقيقة الكتاب الذي سيكتبه أوغوو في النهاية.

هذه الحركة السردية من أديتشي هي فعل سياسي بامتياز، ريتشارد (المستعمر السابق المحب) يدرك أن "هذه القصة ليست قصته" (الرواية، 542)، وأن البريطاني لا يمكنه كتابة مأساة بيافرا مهما بلغ تعاطفه. وعندما يفشل ريتشارد في إنجاز كتابه، تُسحب منه سلطة التمثيل السردي، في واحدة من أهم لحظات النقد ما بعد الاستعماري في الرواية. فالكاتبة لا تكتفي بنقد الخطاب الغربي، بل تستبدله بخطاب محلي.

أوغوو الكاتب – الانتقال من الهامش إلى المركز

في الخاتمة، يُكشف أن الكتاب المعنون بـ " العالم كان صامتاً عندما كنا نموت" هو من كتابة أوغوو. بهذا الاختيار السردي، تُنجز الرواية انقلاباً نسقيا كاملاً، فالخادم يصبح كاتب التاريخ، أي الهامش يستولي على المركز، بتعبير آخر: الصامت يصبح صوت الجماعة. إن منح أوغوو سلطة الكتابة يعد إعلاناً ثقافياً بأن السرد الحقيقي لا يُنتج من موقع الامتياز، بل من موقع المعاناة والمعايشة.

ويتضح مما سبق، أن شخصية أوغوو في نصف شمس صفراء قد كشفت عن مشروع أديتشي العميق في تفكيك الأنساق الثقافية المهيمنة، سواء كانت استعمارية أو محلية. فمن خلال مساره المتحول: خادما، ومتعلما، وجنديا، وشاهدا، ثم كاتبا. يتحول أوغوو من "موضوع" في كتاب الآخرين إلى "ذات" كاتبة. هو الآن يمتلك اللغة (التي تعلمها من سيده) ليحكي بها وجع شعبه. وبهذا، تعيد الرواية تعريف مفاهيم: السلطة والمعرفة والحق في السرد، وبذلك، لا يغدو أوغوو شخصية ثانوية، بل بؤرة النسق الثقافي في الرواية، ووسيطها الأهم لإعادة كتابة التاريخ من الداخل، لا بوصفه تاريخ المنتصر، بل تاريخ من كان العالم صامتاً عندما كانوا يموتون.

وعليه: تُعد شخصية "أوغوو" هي العمود الفقري الفلسفي في رواية "نصف شمس صفراء"، فهو يمثل "وعي الأمة" التي تولد من رحم المعاناة.

إن تحول أوغوو من الهامش إلى المركز ليس مجرد تطور درامي، بل هو نسق ثقافي يرمز لاستعادة الأفريقي لسلطة السرد.

المبحث الرابع: جدلية المركز والهامش وإعادة توزيع سلطة التمثيل بين ريتشارد وأوغو

تشتغل رواية نصف شمس صفراء على تفكيك ثنائية المركز والهامش بوصفها بنية ثقافية موروثة عن الخطاب الكولونيالي، حيث يتخذ "المركز" شكل السلطة البيضاء/الغربية المحتكرة للمعرفة والتمثيل، فيما يُدفع "الهامش" الإفريقي إلى موقع الصمت أو التلقي (أشيكروفت، 2008، ص62). ومن خلال المقارنة النسقية بين شخصيتي ريتشارد وأوغوو، تكشف الرواية عن آليات هذا التقابل، ثم تعمل على قلبه سردياً وثقافياً. يتموضع ريتشارد، على المستوى النسقي، في قلب "المركز الرمزي"، لا بسبب حضوره الجغرافي، إنما بحكم انتمائه الثقافي واللغوي إلى الغرب، وامتلاكه أدوات الكتابة والتدوين، وهي أدوات شكّلت تاريخياً آلية السيطرة المعرفية، غير أن الرواية تحوّله إلى مركز مأزوم، عاجز عن ممارسة سلطته التمثيلية بصورة مكتملة، إذ يُظهر النص تردده وارتباكه الأخلاقي أمام سؤال: هل يحق لي أن أكتب تاريخ حربٍ ليست حربي؟

في المقابل، يبدأ أوغوو من موقع الهامش الاجتماعي والثقافي: طفل قادم من بيئة فقيرة، محروم من التعليم، محكوم عليه بالصمت داخل النظام الطبقي، غير أن المسار السردي للرواية يُعيد تشكيل هذا الهامش بوصفه طاقة كامنة للمعرفة والمقاومة. فالهامش هنا لا يبقى تابعا، لكنه يتحول تدريجيا إلى مركز بديل، مركز نابع من الداخل، يمتلك شرعية التجربة والمعاناة.

وتبلغ جدلية المركز والهامش ذروتها في مشروع الكتابة، حيث يُقصى ريتشارد – بوصفه مركزاً وافداً – من موقع المؤرخ، بينما يُمنح أوغوو، الهامشي سابقاً، سلطة تدوين تاريخ بيافرا. تشكل هذه اللحظة انقلابا نسقيا كاملاً: انتقال سلطة السرد من المركز الكولونيالي إلى الهامش المحلي، ومن الكتابة عن الآخر إلى الكتابة من داخل التجربة. وبهذا المعنى تكشف الرواية عن كونه صراعا على المعنى والذاكرة والتمثيل. فريتشارد، رغم تعاطفه، يظل حاملاً لنسق الهيمنة المعرفية، بينما ينجح أوغوو في تفكيك هذا النسق عبر امتلاك أدواته نفسها (اللغة، الكتابة، التاريخ)، ولكن من منظور مختلف.

إن جدلية المركز والهامش في نصف شمس صفراء حسمت بإقصاء المركز، وبإعادة تعريفه، فالمركز الحقيقي – وفق المنظور النسقي للرواية – هو من يمتلك الحق الأخلاقي في التمثيل، وليس من يمتلك الصوت الأعلى أو الأدوات الأقوى، وهنا ينتصر الهامش بوصفه مركزاً جديداً يعيد كتابة التاريخ من أسفل.

ويمكن القول إن شخصية ريتشارد تمثل مركزا ثقافيا متصدعا، عاجزا عن الاستمرار في احتكار السرد بينما تجسد شخصية أوغوو الهامش الصاعد الذي يتحول إلى مركز بديل عبر المعرفة والكتابة. وبهذا، توظف الرواية الشخصيتين بوصفهما بنيتين نسقيتين لإعادة توزيع السلطة الثقافية، وتفكيك الميراث الكولونيالي في تمثيل التاريخ الإفريقي.

وفي هذا السياق، تكتسب شخصيتا ريتشارد وأوغوو أهمية خاصة، إذ تمثلان موقعين ثقافيين متقابلين: موقع المركز الكولونيالي المهاجر، وموقع الهامش المحلي الصاعد، بما يسمح بقراءة دلالتهما ضمن جدلية النسق الثقافي والسلطة الرمزية، وعلى هذا فإننا نجري مقارنة بين أنساق الشخصيتين من خلال الجدول الآتي:

البعد التحليلي	ريتشارد	أوغوو	الدلالة النسقية
الموقع الثقافي	ينتمي إلى بلد المستعمر السابق "بريطانيا"	ينتمي إلى الهامش المحلي "الايبوي"	تقابل المركز الكولونيالي والهامش المحلي
وضع الهوية	هوية مأزومة منقسمة بين الانتماء العرقي والتعاطف الأخلاقي	هوية في طور التشكل عبر التجربة	خلل الذات مقابل تشكل الذات
العلاقة بالكولونيالية	وعي نقدي بالإرث الكولونيالي دون القدرة على الانفصال عنه	أثر مباشر للكولونيالية عبر الحرب والتهميش	تفاوت أثر الاستعمار بين الوعي والتجربة
موقعه من السلطة	يمتلك امتياز اللون واللغة والكتابة	خاضع للسلطة العسكرية والسياسية	اللامساواة الرمزية في السلطة
الكتابة والسرد	شاهد خارجي يسعى لتمثيل مأساة بيافرا	شاهد داخلي يستعيد حق التمثيل	انتقال سلطة السرد من الخارج إلى الداخل
مشروع الكتاب	يكتب عن بيافرا بوصفه ضميرا غربيا ناقدا	ينسب إليه الكتاب في النهاية	تفكيك احتكار التمثيل الكولونيالي
البعد الإنساني	تعاطف أخلاقي قائم على المراقبة	معاناة وجودية قائمة على المعايشة	الفارق بين إنسانية النظر وإنسانية العيش
العلاقة بالمكان	انتماء وجداني غير مكتمل	انتماء عضوي نابع من التجربة	ثبات المكان مقابل هشاشة الانتماء
التطور السردي	يزداد قلقا وارتباكا	ينتقل من الصمت إلى الوعي والكتابة	تحول الهامش إلى مركز سردي
النسق الثقافي المُمثل	النسق الكولونيالي المأزوم	النسق المحلي المقاوم	صراع الأنساق داخل النص

تكشف المقارنة بين ريتشارد وأوغوو عن استراتيجية سردية واعية تقوم على تفكيك المركز وإعادة بناء الهامش. فريتشارد يمثل نسق التمثيل الكولونيالي المأزوم، بينما يجسد أوغوو نسق المقاومة الثقافية وصعود الصوت المحلي. وبهذا تتحول الشخصيتان إلى بنيتين دلاليتين تعكسان

صراع الهوية والسلطة والكتابة في سياق ما بعد الكولونيالية. فالرواية تُعيد توزيع الأدوار السردية والرمزية بين ريتشارد وأوغو، بحيث يتحول الأول من مركز امتيازي إلى ذات مأزومة فاقدة لليقين، بينما ينتقل الثاني من هامش صامت إلى فاعل ثقافي يمتلك سلطة الحكي. وعلى هذا النحو، تُفكك نصف شمس صفراء النسق الكولونيالي في مستواه الرمزي، وتؤكد أحقية الصوت المحلي في تمثيل تاريخه ومعاناته.

كما توضح المقارنة بين الشخصيتين في الرواية، عن بنية نسقية تقوم على إعادة توزيع السلطة السردية بين المركز الكولونيالي والهامش المحلي. فريتشارد، القادم من بلد المستعمِر السابق، يُجسّد ذاتاً مأزومة تعاني خلل الهوية الناتج عن التوتر بين وعيه النقدي بالإرث الاستعماري واستحالة الانفصال عنه رمزياً ومعرفياً، وعلى الرغم من محاولته تمثيل مأساة بيافرا عبر الكتابة، يظل خطابه مشروطاً بامتياز اللون واللغة، مما يحدّ من قدرته على تجاوز موقع الشاهد الخارجي.

في المقابل، يُمثّل أوغوو مساراً معاكساً، إذ ينتقل من موقع التابع الصامت إلى ذات فاعلة تستعيد حق التمثيل السردي من داخل التجربة، وتتشكّل هويته عبر المعاناة المباشرة للحرب، لا عبر التأمل الأخلاقي ما يمنحه شرعية سردية تتجاوز التعاطف إلى المعايشة. ويكتسب هذا التحول دلالته القصوى حين يُنسب مشروع الكتاب في خاتمة الرواية إلى أوغوو، في إشارة واضحة إلى تفكيك احتكار التمثيل الكولونيالي، وإعادة توطين الصوت داخل السياق الثقافي المحلي.

وتكشف كذلك هذه الثنائية عن وعي الرواية بحدود الخطاب الإنساني الغربي حين لا يُسند بتجربة وجودية، وتُبرز الفرق بين إنسانية المراقبة وإنسانية العيش. وبهذا، تُقدّم نصف شمس صفراء نموذجاً سردياً يُعيد مساءلة علاقة الهوية بالسلطة والمعرفة، ويؤكد أن تجاوز النسق الكولونيالي يتحقق بالاعتراف الأخلاقي وبإعادة توزيع سلطة السرد وتمكين الذات المحلية من كتابة تاريخها. كما تُجسّد شخصية ريتشارد نموذج الذات الكولونيالية المأزومة، فهو البريطاني الذي يدرك مسؤولية بلاده التاريخية، لكنه يعجز عن الانفصال عن امتيازاته الرمزية. ويعكس مشروعه الكتابي مأزق المثقف الغربي الذي يسعى لتمثيل معاناة الآخر دون أن يتجاوز سلطة التمثيل.

أما أوغوو، فتتنامى هويته عبر مسار تعليمي وتجريبي قاسٍ، خصوصاً مع الحرب، حيث تتحول الهوية من وعي ساذج إلى وعي نقدي بالتاريخ والذات. إن هوية أوغوو ليست معطى جاهزاً، إنها بناء تراكمي يوازي صعود صوته السردي داخل النص، كما تمثل شخصية ريتشارد امتدادا رمزيا للسلطة الكولونيالية، حتى حين يبدو مناهضا لها، فمحاولته كتابة تاريخ بيافرا تكشف عن نسق خفي يقوم على احتكار التمثيل والكتابة، وهو ما يضعه في موضع مساءلة أخلاقية وثقافية.

في المقابل، يمارس أوغوو سلطة مضادة عبر الكتابة والمعرفة وليس عبر القوة، فانتقاله إلى مشروع التدوين التاريخي في نهاية الرواية يمثل لحظة انقلاب نسقي، حيث تُسحب سلطة السرد من المركز الأبيض وتُمنح للهامش الإفريقي.

ويتجسد التوتر النسقي بين الشخصيتين بوضوح في مشروع الكتابة. فريتشارد يفشل في إنجاز كتابه عن بيافرا، ليس لعجز تقني بل لأن النسق الثقافي للرواية يسائل شرعيته في التمثيل. في المقابل، ينجح أوغوو في أن يكون الكاتب الحقيقي للتاريخ، بوصفه شاهدا ومنتميا لا مراقبا خارجيا، وهنا تطرح الرواية سؤالها الجوهري: **من يملك حق الكتابة؟** الإجابة تأتي نسقية غير خطابية وذلك عبر إزاحة الكاتب الكولونيالي وإحلال الكاتب المحلي.

الخاتمة

تؤكد هذه الدراسة أن رواية نصف شمس صفراء للروائية النيجيرية **تشيماماندا نغوزي أديتشي** تشتغل بوصفها سرداً تاريخياً عن حرب بيافرا، لكنها في الوقت نفسه نص ثقافي تفكيكي يعيد مساءلة أنساق السلطة والتمثيل التي حكمت كتابة التاريخ الإفريقي في السياق الكولونيالي وما بعده. ومن خلال المقارنة النسقية بين شخصيتي ريتشارد وأوغوو، تكشف الرواية عن البنية العميقة لجدلية المركز والهامش بوصفها علاقة دينامية قابلة لإعادة التشكيل والانقلاب. لقد مثّل ريتشارد المركز الثقافي الوافد، بما يحمله من امتيازات رمزية متجسدة في اللغة والكتابة والقدرة على التدوين، غير أن الرواية عمدت إلى تفريغ هذا المركز من شرعيته الأخلاقية، كاشفة عن مأزق التمثيل الذي يلازم الخطاب الكولونيالي حتى في صوره المتعاطفة، فالمركز هنا لا يُدان بخطابه الصريح فقط، بل بعجزه البنيوي عن الانفصال عن سلطة الهيمنة المعرفية.

في المقابل، صاغت الرواية شخصية أوغوو بوصفها نموذجاً للهامش الذي يعيد بناء ذاته عبر المعرفة والتجربة والوعي التاريخي. فالهامش يظهر بوصفه فضاءً لإنتاج خطاب بديل قادر على زحزحة المركز، وانتزاع سلطة السرد منه، وبهذا المعنى، يتحول أوغوو إلى ذات كاتبة، تكتب من موقع الشاهد والفاعل في التاريخ وليس من موقع الضحية.

وتنفتح هذه الثنائية على أفق نظري يتقاطع مع أطروحات ما بعد الكولونيالية، لاسيما طروحات إدوارد سعيد حول تمثيل الآخر

(1993، ص113)، وتساؤلات غاياتري سبيفاك عن إمكانية أن يتكلم التابع (سبيفاك، ص50)، حيث تجيب الرواية ضمنياً عن هذا السؤال بمنح الهامش صوتاً كتابياً فاعلا، كما يلتقي هذا المسار مع تصور فانون حول الوعي التحرري الذي لا يكتمل إلا بامتلاك أدوات الخطاب والمعرفة. (فانون، 2004، ص45)

إن الدلالة النسقية لشخصيتي ريتشارد وأوغوو تكشف أن الصراع الحقيقي في الرواية صراع عسكري وسياسي، لكنه في الآن ذاته صراع على المعنى والذاكرة والحق في كتابة التاريخ، ومن ثم فإن نصف شمس صفراء تقدم نموذجاً سردياً يعيد الاعتبار للهامش بوصفه مركزاً معرفياً جديداً، ويقترح كتابة تاريخية مضادة تنطلق من الداخل الإفريقي، لا من خارجه.

وعليه، تخلص هذه الدراسة إلى أن الرواية تنجح في تفكيك النسق الكولونيالي عبر استراتيجية سردية قائمة على إزاحة المركز وإعادة توزيع السلطة الثقافية، مؤكدة أن الكتابة ممارسة ثقافية وأخلاقية تُعيد تشكيل علاقات القوة، وتمنح الصوت لمن حُرم منه طويلاً، قبل أن تكون فعلا جمالياً.

المصادر والمراجع:

- أديتشي، تشيماماندي نغوزي (2009) نصف شمس صفراء، ترجمة: فاطمة ناعوت، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- أشيكروفت، بيل – غريفيث، غاري – تيفن، هيلين (2008) ، الرد بالكتابة: النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ترجمة: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان.
- الخفاجي، أحمد رحيم كريم (2017) المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق سوريا.
- سبيفاك، غياتري (2020)، هل يستطيع التابع أن يتكلم ، ترجمة خالد حافظي، طبعة1، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- سعيد، إدوارد (1993) الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت لبنان.
- عصفور ، جابر (2014) موسوعة النظرية الأدبية وما بعد الاستعمار ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة.
- فانون، فرانز (2004)، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي، دار الفارابي، بيروت لبنان.
- يقطين، سعيد (2005) تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط4، بيروت لبنان.